خلاصة المعرفة المخلصة

"خلاصة المعرفة المخلِّصة" ثمرة مشتركة للعالم الفاضل السيد ديفيد ديكسون، خادم الكلمة في إرفين، وللسيد جيمس دورام الذي لا يقل عنه شهرة...

وهكذا يصف جون هاوي، في كتابه "سير أعلام اسكتلندا" [صفحة ٢٩٤ من الطبعة الجديدة بعناية القس و. هـ. كارسلو، ماجستير آداب، أدنبرة: جونستون وهنتر وشركاه، ١٨٧٠]، نشأتها وغايتها:

"كانت بين هذين النورين العظيمين للكنيسة صداقة وثيقة جدا، ومن ثمار أحاديثهما الدينية عندنا 'خلاصة المعرفة المخلِّصة'، التي طُبعت مع إقرار إيماننا وتعاليمنا المسيحية. وهذه، بعد أحاديث عدة في موضوعها وفي طريقة تناوله لتكون نافعة لعامة الأفهام، أملاها السيدان ديكسون ودورام على خادم موقر نحو سنة ١٦٥٠؛ ومع أن الكنيسة لم تقرها إقرارا قضائيا قط، فهي جديرة بأن تُقرأ وتُمارس أكثر بكثير مما هي عليه الآن."

وقراءة هذه الرسالة هي التي أوصلت السيد مكشين الراحل إلى فهم واضح لطريق القبول عند الله، كما يظهر من هذا المقتطف من يومياته: "١١ مارس ١٨٣٤. قرأت في 'خلاصة المعرفة المخلِّصة'؛ وهو العمل الذي أظن أنه أول ما أحدث فيّ تغييرا مخلِّصا. ما أشد فرحي لو جددت قراءته، إن كان ذلك التغيير يمضي إلى الكمال!"

ج. هـ.
أدنبرة، ٢ يناير ١٨٧١

خلاصة المعرفة المخلِّصة

يمكن إجمال خلاصة المعرفة المخلِّصة في هذه المباحث الأربعة:

الحال المؤسفة التي عليها جميع الناس بالطبيعة، بنقض عهد الأعمال.
والعلاج المهيأ للمختارين في يسوع المسيح بعهد النعمة.
والوسائط المعينة لجعلهم شركاء في هذا العهد.
والبركات التي تُمنح بفاعلية للمختارين بهذه الوسائط.

وهذه المباحث الأربعة يُعرض كل منها في قضايا قليلة.

١. حالنا المؤسفة بالطبيعة

المبحث الأول.

حالنا المؤسفة بالطبيعة، بنقض عهد الأعمال. . يا إسرائيل، قد أهلكت نفسك.

أولا. إن الله القادر على كل شيء الأزلي، الآب والابن والروح القدس، ثلاثة أقانيم متمايزة في لاهوت واحد بعينه غير منقسم، متساوية في عدم التناهي في جميع الكمالات، قد قضى قبل الزمان بأحكم ما يكون، لمجده هو، بكل ما يحدث

في الزمان؛ وهو ينفذ جميع أقضيته بأقدس ما يكون وبلا خطأ، من غير أن يكون شريكا في خطية أي خليقة.

ثانيا. وهذا الإله صنع في ستة أيام كل شيء من العدم، حسنا جدا كل في نوعه: وعلى الخصوص صنع جميع الملائكة قديسين؛ وصنع أبوينا الأولين، آدم وحواء، أصل الجنس البشري، مستقيمين قادرين على حفظ الشريعة المكتوبة في قلبيهما. وهذه الشريعة كانا ملزمين بطاعتها بالطبيعة تحت طائلة الموت؛ ولم يكن الله ملزما أن يكافئ خدمتهما، إلى أن دخل معهما ومع نسلهما فيهما في عهد أو عقد، أن يعطيهم حياة أبدية بشرط طاعة شخصية كاملة، متوعدا في الوقت نفسه بالموت إن هما أخفقا. وهذا هو عهد الأعمال.

ثالثا. وكان الملائكة والناس معا عرضة لتغير إرادتهم الحرة، كما أثبتت التجربة، إذ استبقى الله لنفسه الخاصية التي لا تُشارَك، وهي أنه غير متغير بالطبيعة: فإن ملائكة كثيرين سقطوا بالخطية من طوعهم عن حالهم الأولى وصاروا شياطين. وأما أبوانا الأولان، إذ أغواهما الشيطان، وهو أحد هؤلاء الشياطين متكلما في حية، فقد نقضا عهد الأعمال بأكل الثمرة المحرمة؛ وبذلك صارا هما ونسلهما، إذ كانوا في صلبيهما كالأغصان في الأصل، وداخلين معهما في العهد نفسه، لا مستوجبين للموت الأبدي فحسب، بل فقدوا أيضا كل قدرة على إرضاء الله؛ بل صاروا بالطبيعة أعداء لله ولكل خير روحي، ومائلين إلى الشر وحده على الدوام. وهذه هي خطيتنا الأصلية، الأصل المر لجميع تعدياتنا الفعلية، في الفكر والقول والفعل.

٢. *العلاج المهيأ في يسوع المسيح*

المبحث الثاني.

العلاج المهيأ في يسوع المسيح للمختارين بعهد النعمة. . يا إسرائيل، قد أهلكت نفسك، ولكن بي إعانتك.

أولا. مع أن الإنسان، إذ أوقع نفسه في هذه الحال المؤسفة، لا يقدر أن يعين نفسه ولا يريد أن يعينه الله للخروج منها، بل هو بالحري يميل إلى أن يبقى راقدا فيها غير شاعر بها حتى يهلك؛ فإن الله، لمجد نعمته الغنية، قد أعلن في كلمته طريقا لخلاص الخطاة، وهو الإيمان بيسوع المسيح ابن الله الأزلي، بفضل عهد الفداء وبحسب فحواه، وهو العهد الذي عُقد واتُّفق عليه بين الله الآب والله الابن، في مشورة الثالوث، قبل تأسيس العالم.

ثانيا. وخلاصة عهد الفداء هي هذه: إن الله، إذ اختار للحياة مجانا عددا معينا من الجنس البشري الهالك، لمجد نعمته الغنية، أعطاهم قبل تأسيس العالم لله الابن المعين فاديا؛ على شرط أن يتضع هو إلى حد أن يتخذ الطبيعة البشرية، نفسا وجسدا، في اتحاد أقنومي بطبيعته الإلهية، وأن يخضع نفسه للشريعة ضامنا عنهم، وأن يوفي العدل عنهم بأن يؤدي الطاعة باسمهم، حتى احتمال موت الصليب الملعون؛ فيفديهم ويخلصهم جميعا من الخطية والموت، ويقتني لهم برا وحياة أبدية، مع جميع النعم المخلِّصة المؤدية إليها، لتُطبَّق بفاعلية في حينه على كل واحد منهم بالوسائط التي يعينها هو. وهذا الشرط قبله ابن الله، وهو يسوع المسيح ربنا، قبل تأسيس العالم، وجاء في ملء الزمان إلى العالم، ووُلد من العذراء مريم، وأخضع نفسه للشريعة، ودفع الفدية كاملة على الصليب. غير أنه، بفضل ذلك العقد المذكور المعقود قبل تأسيس العالم، ما زال في كل العصور، منذ سقوط آدم، عاكفا على التطبيق الفعلي للخيرات المقتناة على المختارين؛ وهو يفعل ذلك بأن يعقد معهم عهد نعمة مجانية ومصالحة، بالإيمان به؛ وبهذا العهد يمنح كل مؤمن حقا ونصيبا فيه هو وفي جميع بركاته.

ثالثا. ولإتمام عهد الفداء هذا، ولجعل المختارين شركاء في خيراته في عهد النعمة، قُلِّد يسوع المسيح الوظيفة الثلاثية: النبي والكاهن والملك؛ فجُعل نبيا ليعلن لشعبه كل معرفة مخلِّصة ويقنعهم بأن يؤمنوا بها ويطيعوها؛ وجُعل كاهنا ليقدم نفسه ذبيحة مرة واحدة عنهم جميعا، وليشفع دائما لدى الآب ليجعل أشخاصهم وخدماتهم مقبولة لديه؛ وجُعل ملكا

ليخضعهم لنفسه، وليرعاهم ويحكمهم بالفرائض التي عينها هو، وليدافع عنهم في وجه أعدائهم.

٣. الوسائط المهيأة في عهد النعمة

المبحث الثالث.

الوسائط الخارجية المعينة لجعل المختارين شركاء في هذا العهد، ولجعل سائر المدعوين بلا عذر. . كثيرون يدعون.

أولا. الوسائط والفرائض الخارجية لجعل الناس شركاء في عهد النعمة مدبَّرة بحكمة، حتى إن المختارين يهتدون ويخلصون بها لا محالة؛ والمرفوضون الذين هم بينهم لا يُعثَرون بحق. والوسائط هي على الخصوص هذه الأربع: الأولى كلمة الله، والثانية الأسرار، والثالثة حكم الكنيسة، والرابعة الصلاة. ففي كلمة الله المكروز بها على أفواه مرسلين مبعوثين، يعرض الرب النعمة على جميع الخطاة بشرط الإيمان بيسوع المسيح؛ وكل من يعترف بخطيته ويقبل المسيح المعروض ويخضع لفرائضه، يريد الرب أن يُقبل هو وأولاده في كرامة عهد النعمة وامتيازاته. وبالأسرار يريد الله أن يُختم العهد لتثبيت العقد على الشرط المذكور. وبحكم الكنيسة يريد أن يُسيَّج عليهم ويُعانوا على حفظ العهد. وبالصلاة يريد أن تُستمد نعمته المجيدة الموعود بها في العهد يوميا ويُقر بها وتُستعمل. وكل هذه الوسائط تُتبع إما حقيقة وإما في المجاهرة فقط، بحسب صفة الداخلين في العهد، أهم مؤمنون حقيقيون أم زائفون.

ثانيا. وعهد النعمة، المعروض في العهد القديم قبل مجيء المسيح، وفي العهد الجديد منذ مجيئه، واحد بعينه في الجوهر، وإن اختلف في التدبير الخارجي: فإن العهد في العهد القديم، إذ كان مختوما بسري الختان وحمل الفصح، كان يعرض موت المسيح الآتي والخيرات المقتناة به، تحت ظل الذبائح الدموية والطقوس المتنوعة؛ وأما منذ مجيء المسيح، فإن العهد، إذ صار مختوما بسري المعمودية وعشاء الرب، يعرض بوضوح أمام أعيننا المسيح وقد صُلب، منتصرا على الموت والقبر، وحاكما بمجد على السماء والأرض، لخير شعبه.

٤. البركات الممنوحة بهذه الوسائط

المبحث الرابع.

البركات التي تُمنح بفاعلية بهذه الوسائط لمختاري الرب أو منتخبيه. . كثيرون يدعون وقليلون ينتخبون.

أولا. بهذه الفرائض الخارجية، كما يجعل ربنا المرفوضين بلا عذر، كذلك يطبق بقوة روحه على المختارين تطبيقا فعالا جميع النعم المخلِّصة المقتناة لهم في عهد الفداء، ويحدث تغييرا في أشخاصهم. وعلى الخصوص: أولا، يهديهم أو يلدهم ثانية، بأن يعطيهم حياة روحية، إذ يفتح أذهانهم ويجدد إرادتهم وعواطفهم وقواهم، ليؤدوا طاعة روحية لوصاياه. ثانيا، يعطيهم الإيمان المخلِّص، بأن يجعلهم، وهم يشعرون بالدينونة التي يستحقونها، يرضون من القلب بعهد النعمة ويحتضنون يسوع المسيح بغير رياء. ثالثا، يعطيهم التوبة، بأن يجعلهم يرجعون عن كل إثم إلى خدمة الله، بحزن بحسب مشيئة الله، في بغض الخطية ومحبة البر. ورابعا، يقدسهم، بأن يجعلهم يمضون ويثابرون في الإيمان والطاعة الروحية لشريعة الله، وتظهر تلك الطاعة بالإثمار في جميع الواجبات وبعمل الأعمال الصالحة كلما أتاح الله المناسبة.

ثانيا. ومع هذا التغيير الداخلي في أشخاصهم، يغير الله أيضا حالهم: فإنهم متى أُدخلوا بالإيمان في عهد النعمة، أولا، يبررهم، إذ يحسب لهم تلك الطاعة الكاملة التي أداها المسيح للشريعة، وكذلك الوفاء الذي أوفاه المسيح على الصليب للعدل باسمهم. ثانيا، يصالحهم ويجعلهم أصدقاء لله، وقد كانوا قبلا أعداء لله. ثالثا، يتبناهم، فلا يعودون أولادا للشيطان بل أولادا لله، مغنَين بجميع الامتيازات الروحية التي لأبنائه. ورابعا، وأخيرا، بعد أن ينتهي جهادهم في هذه الحياة، يكمل

القداسة والغبطة، أولا لنفوسهم عند موتهم، ثم لنفوسهم وأجسادهم معا، إذ تلتئم بفرح ثانية في القيامة، في يوم مجيئه المجيد للدينونة، حين يُطرح جميع الأشرار إلى الجحيم مع الشيطان الذي خدموه؛ وأما مختارو المسيح ومفديوه، المؤمنون الحقيقيون الساعون في القداسة، فيبقون معه إلى الأبد في حال التمجيد.

الاستعمال العملي للمعرفة المخلِّصة

الاستعمال العملي للمعرفة المخلِّصة، الواردة في الكتاب المقدس والمعروضة بإيجاز في إقرار الإيمان والتعليمين المسيحيين المذكورين آنفا.

الاستعمال العام الرئيسي للتعليم المسيحي هو أن يُبكَّت الإنسان على خطية وعلى بر وعلى دينونة، ؛ من جهة بالشريعة أو عهد الأعمال، ليتضع ويصير تائبا؛ ومن جهة أخرى بالإنجيل أو عهد النعمة، ليصير مؤمنا بيسوع المسيح بغير رياء، ويتقوى في إيمانه على أسس وأسانيد راسخة، ويعطي دليلا على صدق إيمانه بالثمار الصالحة، فيخلص.

وخلاصة عهد الأعمال أو الشريعة هي هذه: "إن عملت كل ما أُمرت به ولم تخفق في نقطة واحدة، خلصت؛ وإن أخفقت، مت." ؛ .

وخلاصة الإنجيل، أو عهد النعمة والمصالحة، هي هذه: "إن هربت من الغضب الذي تستحقه إلى الفادي الحقيقي يسوع المسيح، القادر أن يخلص إلى التمام جميع الذين يتقدمون به إلى الله، فلن تهلك، بل تكون لك الحياة الأبدية." .

ولتبكيت الإنسان على خطية وعلى بر وعلى دينونة بالشريعة أو عهد الأعمال، فلتُستعمل هذه المواضع من الكتاب المقدس، من بين مواضع أخرى كثيرة.

١. *للتبكيت على الخطية بالشريعة*

أولا. لتبكيت الإنسان على الخطية بالشريعة، انظر .

"القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس، من يعرفه؟ أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى، لأعطي كل واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله."

وهنا يعلم الرب هذين الأمرين:

أن ينبوع كل زلاتنا وخطايانا الفعلية ضد الله هو في القلب، الذي يشمل الذهن والإرادة والعواطف وجميع قوى النفس، من حيث هي فاسدة متنجسة بالخطية الأصلية؛ فالذهن ليس جاهلا غير قابل للحق المخلِّص فحسب، بل هو أيضا مملوء ضلالا وعداوة لله؛ والإرادة والعواطف عاصية بعناد لكل توجيهات الله، ومائلة إلى الشر وحده. يقول: القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس؛ بل هو من الشر بحيث لا يُستقصى، حتى لا يقدر أحد أن يعرفه؛ و، كل تصور أفكار قلب الإنسان إنما هو شرير كل يوم، يقول الرب، الذي يجب أن نصدق شهادته في هذا وفي كل أمر آخر؛ والتجربة أيضا تعلمنا أننا، إلى أن يجعلنا الله ننكر أنفسنا، لا ننظر إلى الله في شيء البتة، بل تحكمنا المنفعة الذاتية الجسدية وحدها، وهي التي تدير كل دواليب أفعالنا.

وأن الرب يحاسب على خطيتنا الأصلية، أي ميلنا الشرير، وعلى جميع ثمارها الفعلية، أمام كرسي دينونته؛ "لأنه فاحص القلب مختبر الكلى، ليعطي كل واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله."

ومن هنا فليستدل كل إنسان هكذا:

"ما يشهد به الله وضميري المذنب، أقتنع بأنه حق. لكن الله وضميري المذنب يشهدان بأن قلبي أخدع من كل شيء وهو نجيس، وأن جميع تصورات قلبي بالطبيعة إنما هي شريرة كل يوم. فإذن أقتنع بأن هذا حق."

وهكذا يمكن أن يُبكَّت الإنسان على الخطية بالشريعة.

٢. *للتبكيت على البر بالشريعة*

ثانيا. لتبكيت الإنسان على البر بالشريعة، انظر .

جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب: ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به.

وهنا يعلمنا الرسول ثلاثة أمور:

أنه، بسبب خطيتنا الطبيعية، صارت استحالة تبرر أي إنسان بأعمال الشريعة من اليقين بحيث إن كل من يطلب التبرير بأعمال الشريعة يقع تحت لعنة الله لنقضه الشريعة؛ يقول: لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة.

وأنه، لإتمام الشريعة إتماما كاملا، لا يكفي حفظ وصية أو وصيتين، ولا أداء بعض الواجبات أو كلها، لو أمكن، حينا من الدهر؛ لأن الشريعة تطلب أن يثبت الإنسان في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به.

وأنه، لما لم يكن أحد يبلغ هذا الكمال، صار كل إنسان بالطبيعة تحت اللعنة؛ لأن الشريعة تقول: ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به.

والكون تحت اللعنة يشمل كل سخط الله، مع خطر انفجار غضبه أكثر فأكثر على النفس والجسد، في هذه الحياة وبعد الموت إلى الأبد، إن لم تحل النعمة دون تنفيذه التام.

ومن هنا فليستدل كل إنسان هكذا:

"كل من كان، بحسب عهد الأعمال، واقعا تحت لعنة الله لنقضه الشريعة مرارا وطرقا لا تُحصى، لا يمكن أن يتبرر ولا أن يجد برا بأعمال الشريعة. لكني أنا، فليقل كل إنسان، بحسب عهد الأعمال، واقع تحت لعنة الله لنقضي الشريعة مرارا وطرقا لا تُحصى. فإذن لا يمكن أن أتبرر ولا أن يكون لي بر بأعمال الشريعة."

وهكذا يمكن أن يُبكَّت الإنسان على البر، أنه لا يُنال بأعماله ولا بالشريعة.

٣. *للتبكيت على الدينونة بالشريعة*

ثالثا. لتبكيت الإنسان على الدينونة بالشريعة، انظر .

يُستعلن الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، في نار لهيب، معطيا نقمة للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته، متى جاء ليتمجد في قديسيه ويُتعجب منه في جميع المؤمنين. .

وفي ذلك نتعلم أن ربنا يسوع، الذي يعرض الآن أن يكون وسيطا للمؤمنين به، سيأتي في اليوم الأخير مسلحا بنار لهيب، ليحاكم ويدين ويهلك جميع الذين لم يصدقوا الله، ولم يقبلوا عرض النعمة المقدم في الإنجيل، ولم يطيعوا تعليمه؛ بل بقوا في حالهم الطبيعية تحت الشريعة أو عهد الأعمال.

ومن هنا فليستدل كل إنسان هكذا:

"ما أنذرني به القاضي العادل أنه سيكون في اليوم الأخير، أنا موقن بأنه دينونة عادلة. لكن القاضي العادل قد أنذرني بأني، إن لم أصدق الله في حينه ولم أطع تعليم الإنجيل، سأُقصى عن حضرته ومجده في اليوم الأخير، وأُعذَّب في النفس والجسد إلى الأبد. فإذن أقتنع بأن هذه دينونة عادلة؛ ولي سبب أن أشكر الله من القلب، إذ أنذرني أن أهرب من الغضب الآتي."

وهكذا يمكن أن يُبكَّت كل إنسان على الدينونة بالشريعة أو عهد الأعمال، إن هو بقي تحت عهد الأعمال أو لم يطع إنجيل ربنا يسوع.

٤. *للتبكيت على الخطية والبر والدينونة بالإنجيل*

رابعا. لتبكيت الإنسان على الخطية والبر والدينونة بالإنجيل.

أما لتبكيت الإنسان على الخطية والبر والدينونة بالإنجيل أو عهد النعمة، فعليه أن يفهم ثلاثة أمور:

أن عدم الإيمان بيسوع المسيح، أو رفض عهد النعمة المعروض فيه، خطية أعظم وأخطر من جميع الخطايا الأخرى ضد الشريعة؛ لأن سامعي الإنجيل، إذ لا يؤمنون بالمسيح، يرفضون رحمة الله في المسيح، وهي الطريق الوحيدة للعتق من الخطية والغضب، ولا يرضون أن يصالحوا الله.

ثم عليه أن يفهم أن غفران الخطية الكامل والبر الحقيقي لا يُنالان إلا بالإيمان بيسوع؛ لأن الله لا يطلب شرطا سوى الإيمان، ويشهد من السماء أنه مسرور أن يبرر الخطاة على هذا الشرط.

وعليه أن يفهم أنه، على البر المنال بالإيمان، تتبع الدينونة من جهة، لإبطال أعمال إبليس في المؤمن ولإكمال عمل التقديس فيه باقتدار؛ وأنه، على رفض نوال البر بالإيمان بيسوع المسيح، تتبع الدينونة من الجهة الأخرى، لإدانة من لم يؤمن وإهلاكه مع الشيطان وخدامه إلى الأبد.

ولهذه الغاية، فلتفد هذه المواضع من الكتاب المقدس، من بين مواضع أخرى كثيرة، في إظهار عظم خطية عدم الإيمان بالمسيح؛ أو في إظهار عظم خطية رفض عهد النعمة المعروض علينا في عرض المسيح لنا. فلينظر إلى عرض النعمة الكريم كما هو مقدم، إشعياء ٥٥:٣: أميلوا آذانكم وهلموا إلي، يقول الرب، اسمعوا فتحيا أنفسكم، وأقطع لكم عهدا أبديا مراحم داود الصادقة. أي: إن صدقتموني وصالحتموني، أعطيتكم، بعهد، المسيح وجميع النعم المخلِّصة فيه؛ وهو ما يتكرر في .

ثم انظر أن هذا العرض العام يعادل في جوهره عرضا خاصا مقدما لكل واحد بعينه؛ كما يظهر من استعمال الرسول له، : آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك. وسبب هذا العرض معطى في يوحنا ٣:١٦: لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.

فإذ كان هذا الخلاص العظيم معروضا في الرب يسوع، فمن لا يؤمن به بل يطلب السعادة في طريق آخر، فماذا يفعل سوى أنه يراعي أباطيل كاذبة ويترك نعمته التي كان يمكن أن ينالها في المسيح؟ . وماذا يفعل سوى أنه يجدف على الله

في قلبه؟ كما قيل في : من لا يصدق الله فقد جعله كاذبا، لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه. وهذه هي الشهادة: أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. وأنه ليست خطية ضد الشريعة تشبه هذه الخطية، يشهد المسيح في : لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم. وهذا يمكن أن يبكت الإنسان على عظم هذه الخطية، خطية عدم الإيمان بالمسيح.

٥. البر الذي لا يُنال إلا بالإيمان بالمسيح

خامسا. لتبكيت الإنسان على البر الذي لا يُنال إلا بالإيمان بيسوع المسيح، انظر ما قيل في :

إن اليهود، إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم، لم يخضعوا لبر الله، فهلكوا بذلك. لأن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن. و: وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى. و: ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية.

ولتبكيت الإنسان على الدينونة، إن هو احتضن هذا البر، انظر يوحنا الأولى ٣:٨: لأجل هذا أُظهر ابن الله، لكي ينقض أعمال إبليس. و: فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي؟

وأما إن لم يحتضن الإنسان هذا البر، فحكمه منطوق به في : الذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. وهذه هي الدينونة: إن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور.

ومن هنا فليستدل التائب الراغب في أن يؤمن هكذا:

"ما يكفي لإقناع جميع المختارين في العالم بعظم خطية عدم الإيمان بالمسيح، أو رفض الهرب إليه للإغاثة من الخطايا المرتكبة ضد الشريعة ومن الغضب المستحق عليها؛ وما يكفي لإقناعهم بأن البر والحياة الأبدية يُنالان بالإيمان بيسوع المسيح، أو بالرضا بعهد النعمة فيه؛ وما يكفي لإقناعهم بالدينونة التي يجريها المسيح، لنقض أعمال إبليس في الإنسان، ولتقديس جميع المؤمنين به وخلاصهم؛ يكفي لإقناعي أنا أيضا. لكن ما قاله الروح في هذه المواضع أو ما يشبهها يكفي لإقناع عالم المختارين بتلك الخطية وذلك البر وتلك الدينونة. فإذن ما قاله الروح في هذه المواضع وما يشبهها يفيد في إقناعي أنا أيضا بها."

وعلى ذلك فليأخذ التائب الراغب في أن يؤمن معه كلاما، وليقل للرب من القلب: إذ تقول: اطلبوا وجهي، فنفسي تجيبك: وجهك يا رب أطلب. قد أصغيت إلى عرض عهد أبدي بجميع المراحم المخلِّصة التي تُنال في المسيح، وأنا أحتضن عرضك من القلب. يا رب، ليكن ذلك عقدا؛ يا رب، أومن، فأعن عدم إيماني. هأنذا أبذل نفسي لك، لأخدمك في كل شيء إلى الأبد؛ وأرجو أن تخلصني يمينك. الرب يحامي عني؛ رحمتك يا رب إلى الأبد، عن أعمال يديك لا تتخل.

وهكذا يمكن أن يصير الإنسان مؤمنا بالمسيح بغير رياء.

٦. لتقوية إيمان الإنسان

سادسا. لتقوية إيمان من رضي بعهد النعمة:

لما كان كثيرون من المؤمنين الحقيقيين ضعفاء، ويشكون كثيرا هل يتيقنون يوما من سلامة إيمانهم ودعوتهم الفعالة، أو يستوثقون من تبريرهم وخلاصهم، إذ يرون أن كثيرين ممن يجاهرون بالإيمان يوجدون خادعين أنفسهم؛ فلننظر

كيف يمكن أن يتقوى كل مؤمن في الإيمان ويستوثق من اختياره وخلاصه على أسس راسخة، بأسانيد أكيدة وأدلة صادقة للإيمان. ولهذه الغاية، فلتؤخذ هذه المواضع، من بين مواضع أخرى كثيرة:

أولا. لوضع أسس راسخة للإيمان، انظر : لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين، لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبدا.

وفي هذه الكلمات يعلمنا الرسول أربعة أمور، معونة وإرشادا في كيفية التقوي في الإيمان:

أن الذين يؤمنون بيسوع المسيح وهربوا إليه للإغاثة من الخطية والغضب، وإن كانوا ضعفاء في الإيمان، فهم بالحقيقة أولاد للآب نفسه الذي للرسل؛ فهكذا يحسبهم إذ يدعوهم إخوة.

وأننا، وإن لم نكن في الحال مستوثقين من دعوتنا الفعالة واختيارنا، فيمكن أن نستوثق منهما معا إن اجتهدنا؛ فهذا ما يفترضه إذ يقول: اجتهدوا أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين.

وأنه لا يجوز أن نُثبَّط حين نرى كثيرين ممن يبدون مؤمنين يظهرون أغصانا فاسدة ويرتدون؛ بل بالأحرى ينبغي أن ننتبه لأنفسنا أكثر: يقول: لذلك بالأكثر أيها الإخوة اجتهدوا كل الاجتهاد.

وأن السبيل إلى الاستيثاق من دعوتنا الفعالة واختيارنا معا هو أن نحكم أمر إيماننا، بأن نضع أسسه على رسوخ، وأن نأتي بثمار إيماننا في طاعة جديدة على الدوام؛ لأنه يقول: إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبدا؛ ويُفهم من ذلك ما قاله عن الإيمان السليم في ، وما قاله عن الإتيان بثمار الإيمان في .

ثانيا. ولهذه الغاية نفسها، انظر : إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. : لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت. : لأنه ما كان الناموس عاجزا عنه، في ما كان ضعيفا بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد، لكي يتم حكم الناموس فينا، نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح.

وفي ذلك يعلمنا الرسول أربعة أمور، لوضع أساس الإيمان على رسوخ:

أن كل من يهرب، وهو يشعر بخطيته ويخاف غضب الله، إلى يسوع المسيح وحده للإغاثة التامة منهما، بصفته الوسيط الوحيد وفادي الناس الكافي في كل شيء؛ ثم، وقد هرب إلى المسيح، يجاهد ضد جسده أو ميل طبيعته الفاسد، ويتحرى أن يتبع قانون روح الله المعروض في كلمته، فهو مؤمن حقيقي: لأن الإنسان الذي يطوبه الرسول هنا بصفته مؤمنا حقيقيا هو إنسان في المسيح يسوع، لا يسلك حسب الجسد بل حسب الروح.

وأن جميع الذين هربوا إلى المسيح ويجاهدون ضد الخطية، مهما جاز أن يمتحنوا تحت الشعور بالغضب والخوف من الدينونة، ليسوا في خطر البتة؛ لأنه يقول: لا شيء من الدينونة على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح.

وأنه، مع أن الرسول نفسه، المذكور هنا على سبيل المثال، وجميع سائر المؤمنين الحقيقيين بالمسيح، هم بالطبيعة تحت ناموس الخطية والموت، أي تحت عهد الأعمال، وقد سُمي ناموس الخطية والموت لأنه يربط الخطية والموت علينا إلى أن يعتقنا المسيح؛ فإن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع، أي عهد النعمة، وقد سُمي كذلك لأنه يقدر الإنسان على حياة روحية ويحييه لها بالمسيح، يعتق الرسول وجميع المؤمنين الحقيقيين من عهد الأعمال، أي من ناموس الخطية والموت؛ حتى يمكن لكل إنسان أن يقول معه: إن ناموس روح الحياة، أي عهد النعمة، قد أعتقني من ناموس الخطية والموت، أي من عهد الأعمال.

وأن الينبوع والأساس الأول الذي منه تنبع حريتنا من لعنة الشريعة هو عهد الفداء المعقود بين الله والله الابن متجسدا،

حيث يأخذ المسيح لعنة الشريعة على نفسه لأجل الخطية، لكي يُعتق المؤمن، الذي ما كان يمكن أن يُعتق على وجه آخر، من عهد الأعمال. وهذا التعليم يعرضه الرسول في هذه الفروع الأربعة:

أنه كان محالا كل الاستحالة على الشريعة أو عهد الأعمال أن يأتيا للخاطئ ببر وحياة، لأنها كانت ضعيفة.

وأن هذا الضعف والعجز في الشريعة أو عهد الأعمال ليس عيبا في الشريعة، بل عيب في الجسد الخاطئ، الذي لا يقدر أن يدفع عقوبة الخطية ولا أن يؤدي طاعة كاملة للشريعة، ولو فُرض أن الخطايا الماضية قد غُفرت: يقول: كان الناموس ضعيفا بالجسد.

وأن بر الخطاة وخلاصهم، وقد كان محالا أن يتما بالشريعة، قد تما بإرسال الله ابنه يسوع المسيح في الجسد، وفي جسده دينت الخطية وعوقبت، لإيفاء العدل نيابة عن المختارين، لكي يُعتقوا.

وأن الشريعة لا تخسر بذلك شيئا، لأن حكم الشريعة يتم على هذا الوجه أتم ما يكون؛ أولا، بأداء المسيح لها طاعة فاعلة كاملة باسمنا في كل شيء؛ ثم بدفعه باسمنا العقوبة المستحقة على خطايانا في موته؛ وأخيرا، بعمله التقديس فينا نحن المؤمنين الحقيقيين، الساعين أن نؤدي طاعة جديدة للشريعة، والسالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح.

أسانيد الإيمان ودواعيه

أسانيد الإيمان

ولبناء ثقتنا على هذا الأساس الراسخ، تصلح هذه الأسانيد الأربعة والدواعي الخاصة إلى الإيمان بالمسيح.

١. دعوة الله القلبية

وأولها دعوة الله القلبية، المعروضة في إشعياء ٥٥:١-٥.

العدد ١: أيها العطاش جميعا هلموا إلى المياه، والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا. هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبنا. العدد ٢: لماذا تزنون فضة لغير خبز، وتعبكم لغير شبع؟ استمعوا لي استماعا وكلوا الطيب، ولتتلذذ بالدسم أنفسكم. العدد ٣: أميلوا آذانكم وهلموا إلي. اسمعوا فتحيا أنفسكم. وأقطع لكم عهدا أبديا مراحم داود الصادقة. العدد ٤: هوذا قد جعلته شاهدا للشعوب، رئيسا وموصيا للشعوب، إلخ.

وهنا، بعد أن عرض الرب في الأصحاحين السابقين فدية فدائنا الثمينة بآلام المسيح، والبركات الغنية المقتناة لنا بها، فإنه في هذا الأصحاح:

يعرض المسيح ونعمته عرضا علنيا، إذ ينادي بسوق مجانية كريمة للبر والخلاص، تُنال بالمسيح لكل نفس، بلا استثناء، ترغب حقا أن تخلص من الخطية والغضب: يقول: أيها العطاش جميعا.

ويدعو جميع الخطاة، الواقفين لأي سبب بعيدا عن الله، أن يأتوا ويأخذوا منه غنى النعمة، الجاري في المسيح كنهر، ليغسل الخطية ويطفئ الغضب: يقول: هلموا إلى المياه.

ولئلا يتراجع أحد وهو يشعر بخطيته أو عدم استحقاقه وعجزه عن عمل أي خير، يدعو الرب أمثال هؤلاء على وجه خاص، قائلا: والذي ليس له فضة تعالوا.

ولا يطلب من مشتريه أكثر من أن يرضى بالبضاعة المعروضة، وهي النعمة ثم النعمة؛ وأن يرضى من القلب بهذا العرض للنعمة ويحتضنه، حتى يبرم عقدا وعهدا رسميا مع الله: يقول: هلموا اشتروا بلا فضة، تعالوا كلوا؛ أي ارضوا أن تأخذوا لأنفسكم جميع النعم المخلِّصة؛ واجعلوا البضاعة لكم؛ وامتلكوها، واستعملوا جميع البركات في المسيح؛ وكل ما يفيد حياتكم الروحية وعزاءكم، فاستعملوه وتمتعوا به مجانا بغير أن تدفعوا عنه شيئا: يقول: هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبنا.

ولأن الرب يعلم كم نميل إلى طلب البر والحياة بأعمالنا وإيفائنا، وإلى نوال البر والحياة كأنما بطريق الأعمال؛ وكم نتثاقل عن احتضان يسوع المسيح وعن نوال الحياة بطريق النعمة المجانية بيسوع المسيح، على الشروط التي تُعرض بها علينا؛ لذلك يصرفنا الرب بمحبة عن طريقنا المعوج التعس بإنذار لطيف في حينه، معرفا إيانا أننا لن نجني في طريقنا هذا سوى ضياع تعبنا: يقول: لماذا تزنون فضة لغير خبز، وتعبكم لغير شبع؟

ويعدنا الرب بشبع حقيقي في طريق الالتجاء إلى نعمة المسيح، بل بقناعة صادقة وملء لذة روحية، قائلا: استمعوا لي استماعا وكلوا الطيب، ولتتلذذ بالدسم أنفسكم.

ولأن الإيمان بالخبر، يطلب الإصغاء إلى شرح العرض، ويطلب تصديق الحق والاستماع إليه، وهو الحق القادر أن يولد تطبيق الإيمان المخلِّص ويجتذب النفس إلى الاتكال على الله: يقول: أميلوا آذانكم وهلموا إلي. ولهذه الغاية يعد الرب بأن هذا العرض، متى قُبل، يحيي الخاطئ الميت؛ وأنه، متى رُحب بهذا العرض، يبرم عهد النعمة مع الإنسان الذي يرضى به، بل عهدا لا ينفصم من المصالحة والسلام الدائمين: اسمعوا فتحيا أنفسكم، وأقطع لكم عهدا أبديا. وهذا العهد يعلن أنه سيكون في جوهره تخصيصا ومنحا لجميع النعم المخلِّصة التي اشتراها لنا داود، وهو يسوع المسيح، أعمال الرسل ١٣:٣٤، في عهد الفداء: يقول: أقطع لكم عهدا، مراحم داود الصادقة. ويعني بالمراحم الصادقة النعم المخلِّصة، كالبر والسلام والفرح في الروح القدس، والتبني والتقديس والتمجيد، وكل ما يخص التقوى والحياة الأبدية.

ولتثبيتنا وتوثيقنا من المنح الحقيقي لهذه المراحم المخلِّصة، ولإقناعنا بحقيقة العهد بين الله ومن يصدق هذه الكلمة، قد أعطى الآب ابنه الأزلي الوحيد عطية رباعية:

أولا، أن يتجسد ويولد لأجلنا من نسل داود الذي هو رمزه؛ ولهذا السبب يُدعى هنا، وفي أعمال الرسل ١٣:٣٤، داود، ملك إسرائيل الحقيقي الأبدي. وهذه هي عطية الله العظمى للإنسان، يوحنا ٤:١٠. وهنا: قد جعلته داود، أي مولودا من داود، للشعب.

ثانيا، قد أعطى المسيح ليكون شاهدا للشعوب، على المراحم الصادقة المخلِّصة الممنوحة للمفديين في عهد الفداء؛ وعلى استعداد الآب وقصده أن يطبقها ويثبتها في عهد المصالحة المعقود مع الذين يحتضنون العرض: يقول الرب هنا: قد جعلته شاهدا للشعوب. وهو حقا شاهد كاف في هذا الأمر من وجوه كثيرة: أولا، لأنه أحد أقانيم الثالوث المبارك، وطرف متعاقد عنا في عهد الفداء قبل أن يكون العالم. ثانيا، هو بحكم وظيفته وسيطا رسول العهد، وقد نال تفويضا بإعلانه. ثالثا، ابتدأ فعلا يعلنه في الفردوس، حيث وعد بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية. رابعا، عرض موته وآلامه، والخيرات العظيمة التي تأتينا بها، في رموز الذبائح والطقوس وأمثلتها قبل مجيئه. خامسا، أعطى نورا أوفر فأوفر في شأن هذا العهد، متكلما بروحه من جيل إلى جيل في الأنبياء القديسين. سادسا، جاء هو نفسه في ملء الزمان، وشهد بكل ما يخص هذا العهد، وباستعداد الله أن يدخل المؤمنين فيه؛ من جهة، باتحاد طبيعتنا في أقنوم واحد بالطبيعة الإلهية؛ ومن جهة، بالكرازة ببشرى العهد بفمه؛ ومن جهة، بدفع ثمن الفداء على الصليب؛ ومن جهة، بمعاملته الشعب على الدوام، من البدء إلى هذا اليوم، ليجتذب المفديين إلى هذا العهد ويثبتهم فيه.

ثالثا، قد أعطى الله المسيح رئيسا للشعب، ليأتي بنا من خلال كل الصعوبات والضيقات والتجارب إلى الحياة بهذا العهد؛ وهو، لا سواه، الذي يقود خاصته حقا إلى العهد، وفي العهد يقودهم الطريق كله إلى الخلاص: أولا، بإرشاد كلمته

وروحه. ثانيا، بمثال حياته هو، في الإيمان والطاعة حتى موت الصليب. ثالثا، بعمله المقتدر، إذ يحمل مفديه على ذراعيه ويجعلهم يتكئون عليه وهم صاعدون من البرية.

رابعا، قد أعطى الله المسيح لشعبه موصيا؛ وهذه الوظيفة يمارسها بأمانة، إذ يعطي كنيسته وشعبه شرائع وفرائض، ورعاة ومدبرين وجميع أصحاب الوظائف الكنسية اللازمين؛ وإذ يعقد بينهم المجالس والمحافل ليسهر على أن تُطاع شرائعه؛ وإذ يخضع بكلمته وروحه وتأديبه فساد شعبه؛ وإذ يحرسهم بحكمته وقدرته في وجه جميع أعدائهم أيا كانوا.

ومن هنا يمكن لمن أبرم العقد مع الله أن يقوي إيمانه بأن يستدل على هذا النحو:

"كل من يقبل من القلب عرض النعمة المجانية المقدم هنا للخطاة العطاش إلى البر والخلاص، فله بعهد أبدي المسيح، داود الحقيقي، بجميع مراحمه الصادقة المخلِّصة. لكني أنا، فليقل المؤمن الضعيف، أقبل من القلب عرض النعمة المجانية المقدم هنا للخطاة العطاش إلى البر والخلاص. فإذن لي بعهد أبدي يسوع المسيح، بجميع مراحمه الصادقة المخلِّصة."

٢. *طلبه الحار للمصالحة*

والسند الثاني والداعي الخاص إلى احتضان المسيح والإيمان به هو الطلب الحار الذي يطلبه الله إلينا أن نتصالح معه في المسيح، المعروض في كورنثوس الثانية ١٩:٥-٢١.

العدد ١٩: إن الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعا فينا كلمة المصالحة. العدد ٢٠: إذا نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله. العدد ٢١: لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه.

وفيها يعلمنا الرسول هذه التعاليم التسعة:

أن عالم المختارين، أي عالم النفوس المفدية، هم بالطبيعة في حال عداوة لله. وهذا مفترض في كلمة المصالحة؛ لأن المصالحة، أي تجديد الصداقة، لا تكون إلا بين من كانوا في عداوة.

وأن يسوع المسيح، ابن الله الأزلي، بصفته وسيطا، والآب فيه، كانا في كل الزمان الماضي، منذ سقوط آدم، عاكفين على عقد الصداقة، بكلمته وروحه، بينه وبين عالم المختارين: يقول: إن الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه.

وأن طريق المصالحة كان في كل العصور واحدا بعينه في الجوهر، وهو غفران خطايا الذين يعترفون بخطاياهم وبعداوتهم لله، ويطلبون المصالحة وغفران الخطايا في المسيح: لأنه يقول: إن الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه، على وجه أنه غير حاسب لهم خطاياهم.

وأن غاية الإنجيل وكلمة الله كلها ومرماها ثلاثة أوجه:

فهي تفيد في أن تشعر الناس بخطاياهم وبعداوتهم لله وبخطرهم إن هم عاندوا ولم يخافوا سخط الله.

وكلمة الله تفيد في أن تعرف الناس بالطريق الذي هيأه الله لعقد الصداقة معهم بالمسيح، وهو أن الناس إن اعترفوا بالعداوة ورضوا أن يدخلوا في عهد صداقة مع الله بالمسيح، فإن الله يرضى أن يتصالح معهم مجانا.

وكلمة الله تفيد في أن تعلم الناس كيف يسلكون نحو الله بصفتهم أصدقاء، بعد أن يتصالحوا معه؛ أي أن يكرهوا أن يخطئوا إليه، وأن يجاهدوا من القلب أن يطيعوا وصاياه: ولذلك تُسمى كلمة الله هنا كلمة المصالحة، لأنها تعلمنا كم

نحتاج إلى المصالحة، وكيف نعقدها، وكيف نحفظ مصالحة الصداقة متى عُقدت مع الله بالمسيح.

وأنه، مع أن سماع هذه الكلمة وتصديقها وطاعتها تخص جميع الذين يبلغهم هذا الإنجيل، فإن وظيفة الكرازة بها بسلطان لا تخص أحدا إلا الذين يدعوهم الله إلى خدمته ويرسلهم بتفويض بهذا العمل. وهذا يعرضه الرسول في العدد ١٩ في هذه الكلمات: واضعا فينا كلمة المصالحة.

وأن خدام الإنجيل ينبغي أن يسلكوا بصفتهم رسل المسيح، وأن يتبعوا عن كثب تفويضهم المعروض في الكلمة، متى ٢٨:١٩,٢٠؛ ومتى فعلوا ذلك وجب على الشعب أن يقبلوهم بصفتهم سفراء من الله؛ لأن الرسول يقول هنا بلسانهم جميعا: نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا.

وأن على الخدام أن يعاملوا الشعب بكل حرارة العواطف، ليعترفوا بخطاياهم وبعداوتهم الطبيعية لله بجدية أوفر فأوفر؛ وليرضوا بعهد النعمة وسفارة المسيح من القلب أكثر فأكثر؛ وليبينوا مصالحتهم بوضوح أكثر فأكثر، بسلوك مقدس أمام الله. وهذا يعرضه إذ يقول: نطلب: تصالحوا مع الله.

وأنه، في معاملة الخدام الحارة للشعب، ينبغي للشعب أن ينظروا أنهم إنما يتعاملون مع الله والمسيح، اللذين يطلبان إليهم على أفواه الخدام أن يتصالحوا. وليس ثمة داع أعظم لكسر قلب الخاطئ القاسي من أن يطلب الله إليه الصداقة؛ فإنه، وقد كان الأحرى بنا، نحن الذين أسأنا إلى الله كل هذه الإساءات، أن نطلب صداقة الله، إذا به يسبقنا؛ ويا للعجب العجاب، يطلب إلينا أن نرضى بأن نتصالح معه؛ ولذلك لا بد أن يحل غضب مخيف جدا بمن يستخفون بهذا الطلب ولا يذعنون حين يسمعون خداما ذوي تفويض يقولون: نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا؛ نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله.

ولبيان كيف يتأتى أن يُعقد عهد المصالحة بهذه السهولة بين الله وخاطئ متضع هارب إلى المسيح، يقودنا الرسول إلى سبب ذلك، المعروض في عهد الفداء، وخلاصته هذه: "قد اتُّفق بين الله والوسيط يسوع المسيح ابن الله، الضامن عن المفديين، بصفتهما طرفين متعاقدين، على أن تُحسب خطايا المفديين على المسيح البريء، وأن يُدان ويُمات لأجلها، على هذا الشرط عينه: أن كل من يرضى من القلب بعهد المصالحة المعروض بالمسيح، يتبرر ويُحسب بارا أمام الله بأن تُحسب له طاعة المسيح؛ لأن الله جعل المسيح، الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، يقول الرسول، لنصير نحن بر الله فيه."

ومن هنا يمكن للمؤمن الضعيف أن يقوي إيمانه بأن يستدل من هذا الأساس على هذا النحو:

"من احتضن، بناء على الطلب المحب من الله والمسيح المقدم إليه على أفواه الخدام ذوي التفويض بذلك، عرض المصالحة الدائمة بالمسيح، وعزم بنعمة الله، بصفته شخصا مصالحا، أن يجاهد ضد الخطية وأن يخدم الله بكل طاقته على الدوام، فيمكنه أن يستوثق من أن البر والحياة الأبدية معطيان له بطاعة المسيح المحسوبة له، بمقدار ما هو أكيد أن المسيح دين وأُميت لأجل خطايا المفديين المحسوبة عليه. لكني أنا، فليقل المؤمن الضعيف، قد احتضنت، بناء على الطلب المحب من الله والمسيح المقدم إلي على أفواه خدامه، عرض المصالحة الدائمة بالمسيح، وعزمت بنعمة الله، بصفتي شخصا مصالحا، أن أجاهد ضد الخطية وأن أخدم الله بكل طاقتي على الدوام. فإذن يمكنني أن أستوثق من أن البر والحياة الأبدية معطيان لي بطاعة المسيح المحسوبة لي، بمقدار ما هو أكيد أن المسيح دين وأُميت لأجل خطايا المفديين المحسوبة عليه."

٣. *أمره الذي يوجب على الجميع أن يؤمنوا*

والسند الثالث والداعي الخاص إلى الإيمان بالمسيح هو أمر الله الصارم المهيب، الذي يوجب على جميع سامعي

الإنجيل أن يتقدموا إلى المسيح بالترتيب الذي وضعه، وأن يؤمنوا به؛ المعروض في يوحنا الأولى ٣:٢٣.

وهذه هي وصيته: أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح، ونحب بعضنا بعضا كما أعطانا وصية.

وفيها يعرفنا الرسول هذه التعاليم الخمسة:

أنه إن لم تستمل أحدا دعوة الله العذبة، ولا طلب الله المتواضع المحب المقدم إليه أن يتصالح، فسيجد أنه إنما يتعامل مع السلطان المطلق للجلال الأعلى؛ لأنه يقول: هذه هي وصيته، أن نؤمن به.

وأنه إن نظر أحد إلى هذه الوصية كما نظر من قبل إلى وصايا الشريعة المهملة، فعليه أن ينظر أن هذه وصية من الإنجيل، لاحقة للشريعة، معطاة للانتفاع بعلاج كل الخطايا؛ وإن عُصيت، فلا وصية أخرى تتلوها إلا هذه: "اذهبوا يا ملاعين إلى نار جهنم الأبدية"؛ لأن هذه هي وصيته، وطاعتها ألذ ما يكون في عينيه، العدد ٢٢، وبدونها يستحيل إرضاؤه، العبرانيين ١١:٦.

وأن كل من يسمع الإنجيل عليه أن يجعل من واجب الإيمان الحي بالمسيح أمر ضمير؛ فالمؤمن الضعيف لا ينبغي أن يظن أنه تجاسر إذ يفعل ما هو مأمور به؛ والمائل إلى اليأس عليه أن ينهض بنفسه ويفكر في طاعة هذه الوصية العذبة المخلِّصة؛ والمؤمن القوي عليه أن يغوص أكثر في الشعور بحاجته إلى يسوع المسيح، وأن ينمو أكثر فأكثر في طاعة هذه الوصية؛ بل حتى أبعد الناس عن التوبة وأشدهم استباحة وشرا، لا يجوز أن يقصي نفسه ولا أن يقصيه غيره عن أن يقصد هذا الواجب على وجهه، مهما بدت حاله يائسة؛ لأن الذي يأمر جميع الناس أن يؤمنوا بالمسيح، إنما يأمر بذلك جميع الناس أن يصدقوا أنهم هالكون مدانون بغير المسيح؛ وهو بذلك يأمر جميع الناس أن يعترفوا بخطاياهم وبحاجتهم إلى المسيح، ويأمر في الواقع جميع الناس أن يتوبوا لكي يؤمنوا به. وكل من يأبى أن يتوب عن خطاياه الماضية فهو مذنب بعصيان هذه الوصية المعطاة لجميع السامعين، ولا سيما الذين هم داخل الكنيسة المنظورة: لأنه يقول: هذه هي وصيته، أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح.

وأن من يطيع هذه الوصية فقد بنى خلاصه على أساس راسخ؛ لأنه:

قد وجد المسيا الموعود به، مزودا تماما بكل الكمالات لتنفيذ وظائف النبي والكاهن والملك تنفيذا كاملا؛ لأنه هو المسيح الذي يؤمن به الإنسان.

وقد احتضن مخلصا قادرا أن يخلص إلى التمام، بل يخلص فعليا كل من يتقدم به إلى الله؛ لأنه يسوع، المخلص الحقيقي لشعبه من خطاياهم.

ومن يطيع هذه الوصية فقد بنى خلاصه على الصخر، أي على ابن الله، الذي ليس خلسة أن يُدعى معادلا للآب، والذي هو مستحق أن يكون موضوع الإيمان المخلِّص والعبادة الروحية: لأنه يقول: هذه هي وصيته، أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح.

وأن من آمن بيسوع المسيح، وإن كان معتقا من لعنة الشريعة، فليس معتقا من وصية الشريعة وطاعتها، بل هو مرتبط بها بالتزام جديد وأمر جديد من المسيح؛ وهذا الأمر الجديد من المسيح يحمل معه معونة على الطاعة؛ وإلى هذا الأمر من المسيح يضم الآب سلطانه وأمره أيضا؛ لأن يوحنا يقول: هذه هي وصيته، أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح، ونحب بعضنا بعضا كما أوصانا. والجزء الأول من هذه الوصية، إذ يوجب الإيمان به، يتضمن بالضرورة محبة الله، وبذلك طاعة اللوح الأول؛ لأن الإيمان بالله ومحبة الله لا ينفصلان؛ والجزء الثاني من الوصية يوجب محبة قريبنا، ولا سيما أهل بيت الإيمان، وبذلك طاعة اللوح الثاني من الشريعة.

ومن هنا يمكن للمؤمن الضعيف أن يقوي نفسه بأن يستدل من هذا الأساس على هذا النحو:

"كل من هرب، وهو يشعر بخطيته ويخاف غضب الله، بأمر الله إلى يسوع المسيح، العلاج الوحيد للخطية والشقاء، وألزم قلبه بطاعة شريعة المحبة، فإيمانه ليس متجاسرا ولا ميتا، بل هو إيمان حقيقي مخلِّص. لكني أنا، فليقل المؤمن الضعيف، قد هربت، وأنا أشعر بخطيتي وأخاف غضب الله، إلى يسوع المسيح، العلاج الوحيد للخطية والشقاء، وألزمت قلبي بطاعة شريعة المحبة. فإذن ليس إيماني إيمانا متجاسرا ميتا، بل هو إيمان حقيقي مخلِّص."

٤. يقين وافر بالحياة معطى للمؤمنين

والسند الرابع والداعي الخاص إلى الإيمان بالمسيح هو اليقين الوافر بالحياة المعطى إن أطاع الناس أمر الإيمان؛ والإنذار المخيف بالهلاك إن لم يطيعوا؛ المعروض في يوحنا ٣:٣٥-٣٦.

العدد ٣٥: الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده. العدد ٣٦: الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله.

وفيها تُعرض علينا هذه التعاليم الخمسة:

أن الآب راض تمام الرضا بما تعهد به الابن، إذ دخل فاديا وضامنا، أن يدفع فدية المؤمنين وأن يكملهم في القداسة والخلاص: يقول: الآب يحب الابن؛ أي من حيث هو قائم وسيطا باسمنا، متعهدا أن يكمل فداءنا من كل وجه: الآب يحبه، أي يقبل من القلب عرضه أن يعمل العمل، وهو مسرور به: تتلذذ به نفسه وتستريح إليه، ويجعله في هذه الوظيفة وعاء المحبة والنعمة والرضا، لتُمنح بواسطته للمؤمنين به.

وأنه، لإتمام عهد الفداء، قد أعطى الآب للابن، من حيث هو قائم بصفة الوسيط، أو من حيث هو الله متجسدا، الكلمة الذي صار جسدا، كل سلطان في السماء والأرض، وكل عدة من غنى النعمة والروح والحياة، مع كل قدرة واستطاعة يقتضيها اتحاد الطبيعة الإلهية بالبشرية، أو ملء اللاهوت الحال جوهريا في طبيعته البشرية، أو الاكتفاء الكلي والقدرة الكلية غير المنقسمة للثالوث غير المنفصل الحاضر في كل مكان، أو يمكن أن يتطلبها عمل الفداء: يقول: الآب قد دفع كل شيء في يده، أي لإتمام عمله.

ويُعرض يقين عظيم بالحياة لجميع الذين يقبلون المسيح من القلب، ويقبلون عرض عهد النعمة والمصالحة به: يقول: الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية؛ لأنها مثبتة له:

في قصد الله وقضائه الذي لا يُرد، من حيث المؤمن إنسان مختار للحياة.

وبدعوة الله إياه دعوة فعالة إلى الحياة، وهو أمين فسيفعل ذلك.

وبوعد وعهد أبدي أقسم به الله، أن يعطي المؤمن تعزية قوية في الحياة والموت، على أسس لا تتغير.

وبرهن وتمليك تحت الختم الأعظم لسر عشاء الرب، كلما جاء المؤمن ليتناول رموز الحياة وعرابينها.

وفي المسيح، ينبوع الحياة ورأسها، الذي دخل في الحيازة وكيلا عن المؤمنين؛ وفيه حياتنا مستودعة على وجه لا يمكن معه أن تُنتزع.

وبحيازة مبتدئة للحياة الروحية والولادة الجديدة، وبملكوت قائم في البر والسلام والفرح في الروح القدس، مقام داخل المؤمن، عربونا للحيازة التامة للحياة الأبدية.

ويُعطى إنذار مخيف إن لم يقبل الإنسان التعليم عن البر والحياة الأبدية اللذين يُنالان بيسوع المسيح: الذي لا يؤمن بالابن

لن يرى حياة؛ أي لن يفهم حتى ما معناها.

ويزيد فينذر بأن الإنسان إن لم يقبل تعليم ابن الله، حُمِّل غضب الله مرتين؛ مرة، بصفته متمردا بالولادة والطبيعة، فيحمل لعنة الشريعة أو عهد الأعمال؛ ثم يحتمل دينونة أعظم، من جهة أن النور قد جاء إلى العالم وعُرض عليه فرفضه، وأحب الظلمة أكثر من النور؛ وهذا الغضب المضاعف يثبت عليه ثباتا لا يزول ما دام باقيا في حال عدم الإيمان: يقول: يمكث عليه غضب الله.

ومن هنا يمكن للمؤمن الضعيف أن يقوي إيمانه بأن يستدل من هذا الأساس على هذا النحو:

"كل من يصدق التعليم الذي سلمه ابن الله، ويجد نفسه منجذبا باقتدار إلى الإيمان به من جهة، برؤية الحياة فيه، ومسوقا من جهة أخرى، بخوف غضب الله، إلى التمسك به، فيمكنه أن يستوثق من حقه ونصيبه في الحياة الأبدية به. لكني أنا الخاطئ غير المستحق، فليقل المؤمن الضعيف، أصدق التعليم الذي سلمه ابن الله، وأشعر بنفسي منجذبا باقتدار إلى الإيمان به من جهة، برؤية الحياة فيه، ومسوقا من جهة أخرى، بخوف غضب الله، إلى التمسك به. فإذن يمكنني أن أستوثق من حقي ونصيبي في الحياة الأبدية به."

أدلة الإيمان الحقيقي

أدلة الإيمان الحقيقي

هذا ما يخص وضع أسس الإيمان وأسانيد الإيمان. وأما لإظهار الإيمان الحقيقي بالثمار، فتلزم هذه الأمور الأربعة:

أولا. أن يقتنع المؤمن اقتناعا سليما في حكمه بالتزامه أن يحفظ الشريعة الأدبية كلها كل أيام حياته؛ وذلك لا بمقدار أقل، بل بمقدار أعظم، إذ قد أعتقه المسيح من عهد الأعمال ومن لعنة الشريعة.

ثانيا. أن يسعى إلى النمو في ممارسة التقوى والبر وفي مزاولتهما يوميا.

ثالثا. أن يجري مجرى طاعته الجديدة في المجرى الصحيح، أي بالإيمان بالمسيح وبضمير صالح، إلى جميع واجبات المحبة نحو الله والناس.

رابعا. أن يحفظ شركة وثيقة مع الينبوع يسوع المسيح، الذي منه يجب أن تجري النعمة للتزويد بالثمار الصالحة.

١. الاقتناع بالتزام المؤمن بحفظ الشريعة الأدبية

أما الأمر الأول، وهو إقناع المؤمن في حكمه بالتزامه أن يحفظ الشريعة الأدبية، فخذ من بين مواضع كثيرة متى ١٦:٥-٢٠.

العدد ١٦: فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات. العدد ١٧: لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل. العدد ١٨: فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. العدد ١٩: فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا، يدعى أصغر في ملكوت السماوات؛ وأما من عمل وعلم، فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات. العدد ٢٠: فإني أقول لكم: إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السماوات.

وفيها ربنا:

يأمر المؤمنين المبررين بالإيمان أن يعطوا دليلا على نعمة الله فيهم أمام الناس بعمل الأعمال الصالحة: يقول: فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة.

ويحملهم على ذلك ببيان أنهم، وإن لم يتبرروا بالأعمال، فإن الناظرين إلى أعمالهم الصالحة قد يهتدون أو يُبنَون؛ وهكذا يعود المجد إلى الله بأعمالهم الصالحة، حين يمجد شهودها أباكم الذي في السماوات.

ولا يعطيهم لطاعتهم الجديدة قانونا سوى الشريعة الأدبية، المعروضة المشروحة على يد موسى والأنبياء: يقول: لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء.

ويعرفهم أن تعليم النعمة والعتق من لعنة الشريعة بالإيمان به يُساء فهمه بسهولة في أحكام الناس الفاسدة، كأنه يحل التزام المؤمنين بطاعة الوصايا والخضوع لسلطان الشريعة أو يرخيه؛ وأن هذا الضلال هو بالحقيقة نقض للناموس والأنبياء، وهو ما لن يحتمله البتة في أحد من تلاميذه، لشدة مناقضته لغاية مجيئه، وهي أن يقدس المؤمنين أولا ثم يخلصهم: يقول: لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء.

ويعلم أن غاية الإنجيل وعهد النعمة هي استجلاب طاعة الناس للشريعة الأدبية: يقول: "جئت لأكمل الناموس والأنبياء."

وأن التزام الشريعة الأدبية، في كل نقطة، بجميع الواجبات المقدسة، دائم، ويثبت إلى انقضاء العالم، أي إلى أن تزول السماء والأرض.

وأنه كما اعتنى الله بالكتب المقدسة منذ البدء، كذلك يظل يعتني بها إلى انقضاء العالم، حتى لا يُنزع حرف واحد ولا نقطة واحدة من جوهرها؛ هكذا يقول النص، العدد ١٨.

وأنه كما أن نقض الشريعة الأدبية والدفاع عن التعديات عليها بأنها ليست خطية يقصي الناس عن السماء، ويقصيهم بالعدل أيضا عن شركة الكنيسة الحقيقية؛ كذلك طاعة الشريعة وتعليم الآخرين أن يفعلوا مثلها، بالمثال والمشورة والتعليم، كل بحسب دعوته، تثبت أن الإنسان مؤمن حقيقي، وأنه في تقدير عظيم عند الله، ومستحق أن تقدره الكنيسة الحقيقية كثيرا، العدد ١٩.

وأن بر كل مسيحي حقيقي يجب أن يزيد على بر الكتبة والفريسيين؛ فإن الكتبة والفريسيين، وإن بذلوا جهدا عظيما في أداء واجبات شتى من الشريعة، فقد قصروا تفسيرها لكي تقل إدانتها لممارستهم؛ وتحروا الجزء الخارجي من الواجب وأهملوا الجزء الداخلي الروحي؛ وأدوا بعض الواجبات الأدنى بعناية، وأهملوا الحق والرحمة ومحبة الله؛ وبكلمة، طلبوا أن يثبتوا بر أنفسهم، ورفضوا بر الله الذي بالإيمان بيسوع. وأما المسيحي الحقيقي فيجب أن يكون له أكثر من هذا كله؛ عليه أن يقر بالمدى الكامل للمعنى الروحي للشريعة، وأن يراعي جميع الوصايا، وأن يجتهد في تطهير نفسه من كل دنس الجسد والروح، وألا يعتد بما أداه من خدمة أو سيؤديه، بل أن يلبس بر المسيح المحسوب له، وهو وحده الذي يقدر أن يستر عريه، وإلا فلا يمكن أن يخلص؛ هكذا يقول النص: إن لم يزد بركم، إلخ.

٢. *أن يمارس المؤمن قواعد التقوى والبر*

والأمر الثاني اللازم لإظهار الإيمان الحقيقي هو أن يسعى المؤمن إلى وضع قواعد التقوى والبر موضع الممارسة، وإلى النمو في مزاولتها يوميا؛ المعروض في بطرس الثانية ١:٥-٨.

العدد ٥: ولهذا عينه، وأنتم باذلون كل اجتهاد، قدموا في إيمانكم فضيلة، وفي الفضيلة معرفة. العدد ٦: وفي المعرفة

تعففا، وفي التعفف صبرا، وفي الصبر تقوى. العدد ٧: وفي التقوى مودة أخوية، وفي المودة الأخوية محبة. العدد ٨: لأن هذه إذا كانت فيكم وكثرت، تصيركم لا متكاسلين ولا غير مثمرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح.

وفيها:

يعلم الرسول المؤمنين، لإظهار الإيمان الكريم في أنفسهم، أن يسعوا إلى أن يقدموا في إيمانهم سبع نعم أخرى شقيقة له. الأولى الفضيلة، أي الممارسة الفعلية لجميع الواجبات الأدبية ومزاولتها، حتى لا يكون الإيمان عاطلا، بل يظهر نفسه في العمل. والثانية المعرفة، وهي تفيد في تزويد الإيمان بمعرفة الحق الذي يجب أن يُصدَّق، وفي تزويد الفضيلة بإرشاد إلى الواجبات التي يجب أن تُؤدى وكيف تُؤدى بحصافة. والثالثة التعفف، وهو يفيد في تعديل استعمال جميع الأشياء اللذيذة، حتى لا يتثاقل الإنسان بها ولا يصير غير أهل لأي واجب دُعي إليه. والرابعة الصبر، وهو يفيد في تعديل عواطف الإنسان حين يلقى صعوبة أو أمرا غير سار، حتى لا يمل من المشقة التي يقتضيها فعل الخير، ولا يخور حين يؤدبه الرب، ولا يتذمر حين يعاكسه. والخامسة التقوى، وهي تحفظه في جميع ممارسات الدين، الداخلية والخارجية؛ وبها يُزود من الله لسائر الواجبات التي عليه أن يؤديها. والسادسة المودة الأخوية، وهي تحفظ التقدير والعاطفة لجميع أهل بيت الإيمان، ولصورة الله في كل واحد حيثما رُئيت. والسابعة المحبة، وهي تحفظ القلب مستعدا لفعل الخير لجميع الناس أيا كانوا، في كل مناسبة يتيحها الله.

ومع أنه حق أن في الأتقياء فسادا وضعفا كثيرا، فإن الرسول يريد من الناس أن يسعوا باستقامة، وأن يبذلوا وسعهم بقدر طاقتهم، ليصلوا هذه النعم بعضها ببعض، وينموا في مقدار ممارستها: يقول: وأنتم باذلون كل اجتهاد، قدموا في إيمانكم، إلخ.

ويؤكد لجميع المجاهرين بالإيمان أنهم بمقدار ما يتقدمون في طاعة هذا الإرشاد، يثبتون على وجه نافع سلامة إيمانهم؛ وأنهم إن أعوزتهم هذه النعم، وُجدوا عميانا خادعين أنفسهم، العدد ٩.

٣. أن تجري الطاعة للشريعة في المجرى الصحيح، وهو الإيمان بالمسيح

والأمر الثالث اللازم لإظهار الإيمان الحقيقي هو أن تجري الطاعة للشريعة في المجرى الصحيح، أي بالإيمان بالمسيح، إلخ؛ المعروض في تيموثاوس الأولى ١:٥.

وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء.

وفيها يعلم الرسول هذه التعاليم السبعة:

أن الطاعة للشريعة يجب أن تنبع من المحبة، والمحبة من قلب طاهر، والقلب الطاهر من ضمير صالح، والضمير الصالح من إيمان بلا رياء؛ وهذا هو المجرى الصحيح الوحيد للأعمال الصالحة عنده: غاية الوصية هي المحبة، إلخ.

وأن غاية الشريعة ليست أن يتبرر الناس بطاعتهم لها، كما كان معلمو اليهود يعلمون بالباطل؛ لأنه يستحيل أن يتبرر بالشريعة خطاة تدينهم الشريعة على كل تعد: لأن غاية الوصية هي، لا ما علمه معلمو اليهود، بل المحبة من قلب طاهر، إلخ.

وأن الغاية الحقيقية من الشريعة، إذ يُكرز بها للشعب، هي أن يهربوا، وقد جعلتهم الشريعة يرون الدينونة التي يستحقونها، إلى المسيح بغير رياء ليتبرروا بالإيمان به؛ هكذا يقول النص، إذ يجعل المحبة تنبع من الإيمان بالمسيح.

وأنه لا يقدر أحد أن يقيم نفسه في المحبة ليطيع الشريعة إلا بمقدار ما يهدأ ضميره بالإيمان أو يطلب أن يهدأ في

المسيح؛ لأن غاية الوصية هي المحبة من ضمير صالح وإيمان بلا رياء.

وأن الإيمان المرائي يذهب إلى المسيح بغير حساب مع الشريعة، فليست له حاجة يقصدها؛ وأما الإيمان بلا رياء فيحاسب الشريعة، ويضطر أن يهرب ملتجئا إلى المسيح، غاية الشريعة للبر، كلما وجد نفسه مذنبا بنقض الشريعة: لأن غاية الوصية هي... إيمان بلا رياء.

وأنه، لكي تخرج ثمار المحبة في الفعل على وجه خاص، يلزم أن يُؤتى بالقلب إلى بغض كل خطية ونجاسة، وإلى عزم ثابت على اتباع كل قداسة في كل شيء: لأن غاية الوصية هي المحبة من قلب طاهر.

وأن الإيمان بلا رياء قادر أن يجعل الضمير صالحا والقلب طاهرا والإنسان مطيعا للشريعة بمحبة؛ لأنه متى رُئي بالإيمان أن دم المسيح قد أرضى العدل، هدأ الضمير أيضا، فلا يدع القلب يستبقي محبة الخطية، بل يقيم الإنسان على أن يخاف الله لأجل رحمته، وأن يطيع جميع وصاياه، من محبة لله لأجل عطية التبرير المجانية الممنوحة له بالنعمة: فإن هذه هي غاية الشريعة حقا، وبها تنال من الإنسان طاعة أوفر مما تناله بأي طريق آخر.

٤. *حفظ شركة وثيقة مع المسيح، ينبوع كل نعمة وكل عمل صالح*

والأمر الرابع اللازم لإظهار الإيمان الحقيقي هو حفظ شركة وثيقة مع المسيح، ينبوع كل النعم وكل الأعمال الصالحة؛ المعروض في يوحنا ١٥:٥.

أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت في وأنا فيه، هذا يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا.

وفيه يعلمنا المسيح، بتشبيه مأخوذ من شجرة الكرمة:

أننا بالطبيعة عوسج بري لا يثمر، إلى أن نتغير بمجيئنا إلى المسيح؛ وأن المسيح هو تلك الكرمة الكريمة، التي فيها كل حياة النعمة وعصارتها، والقادرة أن تغير طبيعة كل من يأتي إليها، وأن تمنح الروح والحياة لكل من يؤمن به: يقول: أنا الكرمة وأنتم الأغصان.

وأن المسيح يحب أن يكون المؤمنون متحدين به على وجه لا ينفصلون معه عنه في أي وقت بعدم الإيمان؛ وأن يكون بينه وبينهم سكنى متبادل، لهم فيه بالإيمان والمحبة، وله فيهم بكلمته وروحه؛ لأنه يجمع بين هذين: إن ثبتم في وثبت أنا فيكم، بصفتهما أمرين لا ينفصلان.

وأنه ما لم يُغرس الإنسان في المسيح ويتحد به بالإيمان، فلا يقدر أن يعمل بقوته أدنى عمل صالح؛ بل إنه، إلا بمقدار ما يستمد الإنسان الروح والحياة من المسيح بالإيمان، يكون العمل الذي يعمله باطلا لا قيمة له من جهة الصلاح في تقدير الله: يقول: لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا.

وأن هذا السكنى المتبادل هو الينبوع والعلة التي لا تخطئ للثبات على فعل الخير والوفور فيه: يقول: الذي يثبت في وأنا فيه، هذا يأتي بثمر كثير. وكما أن ثباتنا في المسيح يفترض ثلاثة أمور:

أننا سمعنا صوت الإنجيل المفرح، عارضا علينا المسيح، ونحن خطاة هالكون بالشريعة؛

وأننا احتضنا من القلب عرض النعمة الذي يُقدّم لنا فيه المسيح؛

وأننا بقبولنا إياه صرنا أولاد الله، يوحنا ١:١٢، وأُدخلنا في جسده السري، ليسكن هو فينا كهيكله، ونسكن نحن فيه كمقر البر والحياة؛ كذلك ثباتنا في المسيح يحمل ثلاثة أمور أخرى:

استخدام المسيح في كل ما نتوجه به إلى الله، وفي كل ما نتولاه من أي خدمة له؛

والقناعة باكتفائه، بغير أن نخرج عنه لنطلب البر أو الحياة أو العدة في أي حال، في استحقاقنا نحن أو استحقاق أي خليقة؛

والثبات في إيماننا به، والثبات في استخدامه والانتفاع به، والثبات في قناعتنا به وتمسكنا به، حتى لا يقدر أي إغراء ولا تجربة من الشيطان أو العالم ولا رعب ولا ضيق أن يزحزح أرواحنا عن التمسك الراسخ به، ولا عن المجاهرة الدائمة بحقه وطاعة وصاياه، هو الذي أحبنا وبذل نفسه لأجلنا؛ والذي فيه لا حياتنا وحدها مستودعة، بل فيه أيضا يحل كل ملء اللاهوت جسديا، بسبب الاتحاد الحقيقي والأقنومي بين الطبيعتين الإلهية والبشرية فيه.

ومن هنا فليستدل كل مؤمن ساهر، لتقوية نفسه في الإيمان والطاعة، على هذا النحو:

"كل من يستخدم يسوع المسيح يوميا لتطهير ضميره وعواطفه من ذنب الخطايا ضد الشريعة ومن دنسها، ولإقداره على أداء الطاعة للشريعة بمحبة، فله دليل الإيمان الحقيقي في نفسه. لكني أنا، فليقل كل مؤمن ساهر، أستخدم يسوع المسيح يوميا لتطهير ضميري وعواطفي من ذنب الخطايا ضد الشريعة ومن دنسها، ولإقداري على أداء الطاعة للشريعة بمحبة. فإذن لي دليل الإيمان الحقيقي في نفسي."

ومن هنا أيضا فليستدل المؤمن النائم المتكاسل، لينهض نفسه، هكذا:

"كل ما يلزم لإعطاء دليل الإيمان الحقيقي، أتحراه، وإلا خدعت نفسي وهلكت. لكن استخدام يسوع المسيح يوميا لتطهير ضميري وعواطفي من ذنب الخطايا ضد الشريعة ومن دنسها، ولإقداري على أداء الطاعة للشريعة بمحبة، لازم لإظهار الإيمان الحقيقي فيّ. فإذن هذا ما يجب أن أتحراه، وإلا خدعت نفسي وهلكت."

٥. *لتقوية المؤمن في الإيمان والطاعة بهذه الأدلة*

وأخيرا،

إذ قد بيّن المسيح نفسه هذا دليلا لا يُشك فيه على أن الإنسان مختار من الله للحياة ومعطى ليسوع المسيح ليفديه، "إن هو أتى إليه"، أي أبرم العهد وحفظ الشركة معه، كما يعلمنا في يوحنا ٦:٣٧ قائلا: كل ما يعطيني الآب فإلي يقبل، ومن يقبل إلي لا أخرجه خارجا؛ فليستدل كل شخص لا ينتفع بالمسيح جادا لغفران الخطية وإصلاح الحياة، من هنا ومن جميع ما تقدم، على هذا النحو، لكي يستيقظ ضميره:

"كل من لم يُبكَّت، لا بالشريعة ولا بالإنجيل، على الخطية والبر والدينونة تبكيتا يحمله على أن يأتي إلى المسيح ويستخدمه يوميا لغفران الخطية وإصلاح الحياة، فهو يفتقر لا إلى كل دليل على الإيمان المخلِّص فحسب، بل إلى كل مظهر لاختياره أيضا، ما دام باقيا في هذه الحال. لكني أنا، فليقل كل شخص غير تائب، لم أُبكَّت لا بالشريعة ولا بالإنجيل على الخطية والبر والدينونة تبكيتا يحملني على أن آتي إلى المسيح وأستخدمه يوميا لغفران الخطية وإصلاح الحياة. فإذن أنا أفتقر لا إلى كل دليل على الإيمان المخلِّص فحسب، بل إلى كل مظهر لاختياري أيضا، ما دمت باقيا في هذه الحال."

© 2026 Westminster 1647 :: https://westminster1647.com/ar/correo